قصيدة فيقرأها الناس ولا يفهمون ما اراديها وماقصد ، فيضطرون الى ان يسألوا منه عن مراده وقصده — كمثل كل انسان اعتيادى بما يشعر به تجاه مظاهر الكون وحوادثه .

والسبب الثانى الذى اورده الاديب الفاضل شوقى ضيف على غموض الشعر هو تعقد الحياة النفسية وابهامها ، ولعله قاصد بهذا التعقد والابهام عجز الانسان عن تبين ماهية بعض من ميول نفسه ونزعاتها ورغباتها وانفعالاتها و . . . الخ

نعم ان الحياة النفسية معقدة بالرغم من مجهودات البشر العلمية فى تحليلها الى ابسط ما يمكن ، وستظل معقدة بل سيزيد تعقدها وابهامها كلما تقدمت جهود الانسان العقلية فى البحث عن كنه النفس واسرار حوادثها .

اما ان يظل الشعر يلازمه الغموض ما دامت الحياة النفسية غامضة فهذا حكم غير صائب ، ولعل الاديب الفاضل قد تورط اضطرارا فى هـــذا الحكم وذلك لأنه ضيق على نفسه بيده مجال البحث فناط بالشعر وحده دون سواه من الفنون الجميلة اماطة اللثام عن اسرار هذه الحياة النفسية .

لا يا أخى شوقى ! ما كان الشعر فى جميع أدوار حياته ، ولن يكون وحده الكفيل الضامن للغموض بهذا العبء الثقيل ، فقد وجدناه فى سالف العصور ونجـــده الآن يمد يده الى اخوته ، الفنون الجميلة مثل الرسم والنحت والموسيقى حتى الرقص يستعين بها على بلوغ هذه الغاية .

فهناك بعض الحوادث النفسية لا يستطيع الشعر أن يصفها بما لديه من وسائل ، وتستطيع ريشة الرسام أن تبرزها واضحـــة ، فعدم استطاعة الشعر فى مثل هذا الموقف يجب ألا نعتبره عجزاً منه وتقصيراً بل هو فى الحقيقة تكليفه بالخروج عن نطاق اختصاصه وقابليته كما أن هناك بعض الخوالج النفسية يعجز عن ابلاغها إلى النفوس كل من الشاعر والرسام والممثل والموسيقى ، ولكن راقصة رشيقة فنانة تتمكن بحركات خاصة أن تعبر عنها وتجسم تأثيرها فى النفوس .

فمطالبة الشعر وحده بكشف أسرار الحوادث النفسية ووصفها وتصويرها على اختلاف أنواعها وضروب تأثيراتها هو السبب الذى حدا ببعض المفكرين أن يردوا بعلة الغموض ، هذه العلة التى راحوا بعد اختراعها يتخرون بين طياتها الجمال الموهوم والابداع المزعوم .

بغداد — عباس فضلى خماس

فى محكمة التاريخ

الوزير مؤيد الدين بن العلقمى

هل غدر بأمته وخليفته؟

— ١ —

إن موضوع الخيانة العظمى التى تتهم جمهرة المؤرخين هذا الوزير بها موضوع دقيق ، اذ ليس لدى من يعرض لهذا الحادث التاريخى المهم الادلة الكافية التى تخرجه بنتيجة حاســـمة لا جدل فيها ولا مغالطـــة ، وكيف يتسنى لكاتب ان يصل لحقيقة تحيط بها الشكوك وتكتنفها الظنون ؟ لأن مايظهره بعض من كتبوا او قل تعرضوا لهذا الأمر الخطير من ميل مع هوى النفس وخضوع للعواطف يزيد فى التحير والتشكك . زد على هذا وقوع هذا الحادث فى فترة فوضى واضطراب استولى الرعب فيها على مشاعر الناس ، وكيف لا وهى فترة تقتيل وتشريد وتحريق وتدمير . وفى احوال كهذه يجب الشك ، ويلزم الحذر والتنبه لاكثر ما يروى عما يقع عادة فى خلال هذه الاحوال المضطربة ؛ لأن الفزع والذعر يخرجان المرء عن الطبيعة الهادئة المتروية التى تتطلبها رواية الحوادث ولا سيما الهامة منها . فالاضطراب والتشويش صنوان متعانقان فضلا عن رواج سوق الشائعات ، ولا سيما الباطلة منها فى اوقات الانقلابات والاحداث السياسية المهمة ، وسأضع الآن بين أيديكم ما تقوله المصادر الأوليـــة عن هذا الحادث ، مبتـــدئا بالمصادر حسب اوليتها ، وبعد ان افرغ من ذلك سأحاول جهدى المقابلة بين المصادر ، ثم نقد مواطن الضعف فى كل مصدر . وأبدأ بما يقوله ابن الطقطقى فى صدد الكلام عن مخامرة الوزير (ونسبه الناس انه خامر . وليس ذلك بصحيح . ومن أقوى الادلة على عدم مخامرته سلامته فى هذه الدولة ، فان السلطان هلاكو لما فتح بغـــداد وقتل الخليفة سلم البلد الى الوزير وأحسن اليه وحكمه ، فلو كان قد خامر على الخليفة لما وقع الوثوق اليه) (١) وبعد أن ينتهى من هذا البرهان يذكر لنا روايته عن تصلب الوزير واصراره على عدم الخروج الى هلاكو . ويروى المؤرخ هـــذه الرواية عن ابن أخت الوزير ، ومؤداها أن الخليفة طلب وزيره وقال

(١) الفخرى طبعة مصر ص ٣٠٢

له (قد أنفذ السلطان بطلبك ، وينبغي أن تخرج اليه ، فخرج الوزير من ذلك ، وقال يا مولانا اذا خرجت فمن يدبر البلد ومن يتولى المهام ؟ فقال له الخليفة لابد من أن تخرج . قال فقال السمع والطاعة ، ثم مضى الى داره وتهيأ للخروج ثم خرج . . فلما حضر بين يدى السلطان وسمع كلامه وقع بموقع الاستحسان . . . . . فلما فتحت بغداد سلمت اليه والى على بهادر الشحنة فمكث الوزير شهوراً ثم مرض ومات رحمه الله فى جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة) (١)

اما ابو الفدا فيقول فى كلامه عن استيلاء التتر على بغداد وسبب مجيئهم (ان وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمى كان رافضيا ، وكان اهل الكرخ ايضا روافض ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على جارى عادتهم فامر ابو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى وكاتب التتر واطمعهم فى ملك بغداد) (٢) وبعد ان يذكر ماوقع بين جند الخليفة وجند السلطان وتغلب السلطان وتقدمه لحصار بغداد (خرج مؤيد الدين الوزير ابن العلقمى الى هلاكو فوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال إن هلاكو يبقيك فى الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك أبى بكر ، وحسن له الخروج الى هلاكو فخرج اليه المستعصم فى جمع من اكابر اصحابه فانزل فى خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والاماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون ، وكان منهم محى الدين بن الجوزى واولاده وكذلك بقى يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة ، فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم (٣))

ويجىء بعد ابى الفدا ابن الوردى وهو يأخذ عن ابى الفدا احيانا بالحرف ، ولولا انه ذكر اشياء لم يذكرها ابو الفدا لاغفلت ذكره ، وهو بعد ان يذكر ماذكره ابو الفدا عن فتنة بغداد وما ارتكب من الامور الشنيعة ، وان ابن العلقمى ارسل الى هلاكو يستقدمه يورد نص الرسالة التى ينفرد بذكرها فيقول (وكاتب التتر واطمعهم فى بغداد وطمع الخبيث الغوى فى اقامة خليفة علوى) (قلت) وكتب ابن العلقمى الى وزير اربل يطلعه على ذلك فى رسالة (منها) أنه قد نهب الكرخ المكرم وقد دنس البساط النبوى المعظم وقد نهبت العترة العلوية واستؤسرت العصابة الهاشمية وقد حسن التمثيل بقول شخص من غزيه

امور تضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها اللبيب

فقد عزموا على نهب الحلة والنيل ، بل سولت لهم أنفسهم أمراً فصبر جميل .

أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام

ومنها :

وزير رضى من حكمه وانتقامه بطى رقاع حشوها النظم والنثر
كما تسجع الورقاء وهى حمامة وليس لها نهى يطاع ولا أمر

« فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها ولخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون »

ووديعة من سر آل محمد أودعتها إن كنت من أمنائها
فاذا رأيت الكوكبين تقارنا فى الجدى عند صباحها ومسائها
فهناك يوخذ ثار آل محمد وطلابها بالترك من اعدائها

وكنا أقول بالمرصاد ، وتأول أول النجم واحرص) (١) ثم يقول فى شأن الرسول وكيف أرسل بالرسالة الى هلاكو (فارسل ابن العلقمى الى التتر أخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد فى جحفل عظيم (قلت) أراد ابن العلقمى نصرة الشيعة فنصر عليهم ، وحاول الدفع عنهم فدفع اليهم ، وسعى ولكن فى فسادهم ، وعاضد ولكن على سبى حريمهم وأولادهم ، وجاء بجيوش سلبت عنه النعمة ، ونكبت الامام والأمة ، وسفكت دماء الشيعة والسنة ، وخلدت عليه العار واللعنة) (٢) ثم يقول عن عاقبة الوزير : وفيها أى فى سنة ٦٥٦ هـ (توفى ... والوزير المتبر مؤيد الدين محمد بن محمد العلقمى الرافضى ، قرر مع هلاكو أموراً فانعكست عليه وعض يده ندما وصار يركب اكديشا فنادته عجوز يا ابن العلقمى هكذا كنت تركب فى أيام المستعصم ؟ ويحك هلاكو آخراً فمات غما وغبنا ، لا رحمه الله ومات ابنه بعده) (٣)

أما صاحب فوات الوفيات فيذكر ان الوزير ظل مخلصا لأستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار ماوقع من اختلاف ، فعضدت الحاشية الدوادار فضعف أمر الوزير فرفعته الضغينة والحقد ان يسعى فى ازالة

---

(١) الفخرى ص ٣٠٢ — ٣٠٣
(٢) أبو الفدا ج ٣ ص ١٩٣
(٣) أبو الفدا ص ١٩٤

(١) تاريخ ابن الوردى طبعة مصر ج ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦
(٢) ابن الوردى ص ١٩٦
(٣) ابن الوردى ص ٢٠١

الدولة فأخذ (يكاتب التتر الى ان جرأ هلاكو على أخذ بغداد وقرر مع هلاكو أموراً انعكست عليه وندم حيث لاينفعه الندم ، وكان كثيرا مايقول - وجرى القضاء بعكس مااملته ، لأنه عومل بانواع الهوان من اراذل التتر والمرتدة)(١) ثم يستمر ابن شاكر فى حديثه فيروى لنا كيف ابلغ الوزير رسالته الى التتر ، فقد ابتدع خطة جهنمية قد لاتخطر لانسان فيقول المؤرخ (وحكى انه لما كان يكاتب التتر تحيل الى ان أخذ رجلا وحلق رأسه حلقاً بليغا ، وكتب ماأراد عليه بالابر ونفض عليه الكحل وتركه عنده الى ان طلع شعره وغطى ما كتب فجهزه وقال اذا وصلت مرهم يحلق رأسك ودعهم يقرأون مافيه . وكان فى آخر الكلام «قطعوا الورقة» فضربت عنقه وهذا غاية فى المكر والخزى) (٢) أما عن نهاية الوزير فيروى انه مات بعيد استيلاء التتر على بغداد بتأثير الغم والغيظ على ماأصابه من التتر فى سبيل انتقامه من الدوادار ومشايعيه (٣) ويقول ابن خلدون فى كلامه عن هلاكو (وقصد قلعة ألموت وبها صاحبها علاء الدين فبلغه فى طريقه وصية ابن العلقمى وزير المستعصم ببغداد فى كتاب ابن الصلايا صاحب اربل يحثه للسير الى بغداد ويسهل عليه امرها لما كان ابن العلقمى رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ ، وتعصب عليهم أهل السنة بان الخليفة والدوادار يظاهرونهم ، وأوقعوا باهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمى ودس الى ابن الصلايا باربل وكان صديقا له بان يستحث التتر لملك بغداد ، وأسقط عامة الجند يموه بانه يصانع التتر بعطائهم ، وسار هلاكو والتتر الى بغداد) (٤) وبعد أن يذكر فظائع التتر ببغداد وما قتلوا من أنفس أحصى عددها فبلغ المليون والثلاثمائة ألف يقول (... واستبقى ابن العلقمى على الوزارة والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام فى الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه فبقى على ذلك مدة ثم اضطرب وقتله هلاكو) (٥)

ويقول دحلان فى كلامه عن مجىء التتر (وكان من أعظم الاسباب أن ابن العلقمى وزير المستعصم كان رافضيا وكان يريد نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين فكاتب التتر وأطمعهم فى ملك بغداد ... اما ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد وذاق من التتر غاية الذل والهوان ، فان هلاكو استدعاه بين يديه وعنفه على سوء مافعله مع أستاذه ، ثم قتله شر قتلة ، وقيل إنه مات حتف أنفه غما وكمدا) (١)

مناقشة المصادر فى العدد القادم

فرحان شبيلات
الجامعة الامريكية (بيروت)

(١) فوات الوفيات ج ٣ ص ١٥٢ (٢) فوات الوفيات ص ١٥٣ (٣) فوات الوفيات ص ١٥٢ (٤) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٤٢ (٥) ابن خلدون ص ٥٤٣

(١) الدول الاسلامية فى اول الجدول المرضية ص ٢٥

خـــواطر

للاستاذ أديب عباسى

١ - الفضيلة سياج من شوك ليس له باب ، يجد الداخل اليه والخارج منه صعوبة على السواء .

٢ - كثيرون يخلقون عندما يموتون .

٣ - مساوىء المرء تدفن معه .

٤ - بعض الناس كالموانع يتكدرن دائما بشكل الاناء الذى يوضعون فيه .

٥ - كلما دنت النفوس من الأرض هان قطافها - شأنها شأن الثمر .

٦ - أفراح الحياة واتراحها تمتزج بعضها ببعض . لهذا كان من المستحيل أن ينال امرؤ حظا من الحياة خالصاً من الاتراح ، أو خالياً من الأفراح .

٧ - أكثر الذين يظنون انهم يحبون غيرهم لايحبون فى الحقيقة غير نفوسهم .

٨ - يحب الرجل الانكسار فى المرأة لأنه تعود اذلالها .

٩ - من لاتحفزه همته الى الاهتمام بنفسه لايستطيع احد ان أن يحمله على ذلك .

١٠ - من الناس من يخلقون اذنابا : ومن العبث المسرف أن تجعلهم رؤساء .

١١ - ليس آلم للنفس من رؤية الرذيلة فى ثياب الفضيلة والذئب فى ثياب الحمل

١٢ - المتكبر كالراية الجرداء .